المجلس الثاني

الحياة الحقيقية

المجلس الثاني

الحياة الحقيقية

إن حياة المسلم الحقيقية هي الحياة بعد الممات كما قال الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وكما قال ﷻ حاكيًا عن الكافر إذا لقي الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢١-٢٤]، فهو علم أن الحياة الباقية والمستمرّة والتي تستحق العمل والاجتهاد والبذل هي الحياة الأخرى، الحياة الطويلة الممتدة التي بعد الموت وبعد الحساب.

لذا فإنه يتكرر في القرآن الكريم الأمر بالصّدقة والحثّ عليها، ويقترن أحيانًا بتذكير المؤمن بالموت وفراق الدنيا وبأن أجله سينتهي وربما ندم أو تحسّر على عدم الصدقة، يقول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

ويقول ﷻ: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١٠-١١]، فهو ما ندم وما طلب أن يرجع إلى الدنيا إلا ليتصدق ويتقرب إلى الله ﷻ، لما للصّدقة من أثرٍ وأجرٍ وغنيمة، ثم بمجرد خروج روحه من نفسه انتقل هذا المال من كونه مالًا له إلى كونه مالًا لورثته لهم غنمه وعليه غرمه، والله المستعان.

مضى أمسك الماضي شهيدًا معدلًا وأعقبه يوم عليك جديدُ
فإن كنت بالأمس اقترفت إساءة فثنِّ بإحسان وأنت حميدُ
ولا ترج فِعل الخير يومًا إلى غدٍ لعلَّ غدًا يأتي وأنت فقيدُ[١]

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ﷺ في تفسير قوله ﷻ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [يس:١٢] قال: «إنا نحن نحيي الأموات جميعًا ببعثهم يوم القيامة، ونكتب ما عملوا من الخير والشر، وآثارهم التي كانوا سببا فيها في حياتهم وبعد مماتهم من خير: كالولد الصالح والعلم النافع والصدقة الجارية، ومن شرّ: كالشرك والعصيان، وكل شيء أحصيناه في كتاب واضح هو أم الكتب، وإليه مرجعها، وهو اللوح المحفوظ، فعلى العاقل محاسبة نفسه؛ ليكون قدوة في الخير في حياته وبعد مماته»[٢] اهـ.

وهكذا نجد النبي ﷺ يذكّر أصحابه ﷺ بفضل الصّدقة ويحثّهم عليها ويرغّبهم فيها وإليك هذه القصة التي رواها الصحابي الجليل أبو هُرَيْرَةَ ﷺ قال قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلاَةٍ[٣] مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ: اسقِ حَدِيقَةَ فُلانٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءهُ فِي حَرَّةٍ[٤] فَإِذَا شَرْجَةٌ[٥] مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَت ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ، فإذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بِمسحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللهِ، ما اسمُكَ؟ قال: فُلانٌ للاسم الذي سَمِعَ فِي السَّحابةِ، فقال له: يا

(١) الأبيات لمحمود بن الحسن، ينظر الزهد الكبير للبيهقي رقم (١).
(٢) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (٦٩٢/١).
(٣) **الفلاة**: هي الصحراء.
(٤) **الحَرَّة**: هي الأرض ذات الحجارة السود.
(٥) **الشَرْجَة**: هي مسيل الماء.

عبدَ الله، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوتًا فِي السَّحابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يقولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لاسمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا، فَقَالَ: أَمَا إذ قلتَ هَذَا، فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ»(١).

ويستقى من هذه القصة النبوية جملة من الفوائد منها:

* فضل الإنفاق في سبيل الله وأجلّه وأعظمه الوقف في سبيل الله ﷻ قال النووي رحمه الله: «وَفِي الْحَدِيث فَضْل الصَّدَقَة وَالْإِحْسَان إِلَى الْمَسَاكِين وَأَبْنَاء السَّبِيل»(٢).
* أن من أنفق فهو موعود بخلف رباني كريم، لقول رب العالمين ﷻ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].
* إنّ المنفق في سبيل الله يدعو له ملَك كل يوم، وإنّ الممسك الشحيح البخيل يدعو عليه ملَك كل يوم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»(٣).

ولا شك أن الواقف في سبيل الله ﷻ ينال أجرًا عظيمًا وخيرًا عميمًا فهو بمثابة من ينفق كل يوم في سبيل الله، وجاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ إلا كان له به صدقة»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٨٤).

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٨ /١١٥).

(٣) أخرجه البخاري (١٤٤٢)، مسلم (١٠١٠).

(٤) أخرجه البخاري (٢٣٢٠)، مسلم (١٥٥٣).

قال أحدهم حاكيًا على لسان أهل المقابر:

يا واقفـــين ألم تكونـــوا تعلمـــوا ... إن الحُمـــام[١] بكـــم علينـــا قـــادمُ

لـــو تنزلـــون بشـــعبنا لعرفتمـــوا ... أنّ المفـــــرط في التـــــزود نادمُ

لا تســـــتعزّوا بالحيـــاة فـــإنكم ... تبنـــون، والمـــوتُ المفـــرقُ هـــادمُ[٢]

فالله الله باستثمار هذه الحياة لبناء الحياة الحقيقية القادمة.

(١) الحمام بضم الحاء المهملة: الموت.

(٢) ينظر: مرشد الزوار إلى قبور الأبرار (٨٣/١).